



الوظائف الحجاجية والآليات التواصلية
في "رسالة القيان" للجاحظ

Argumentative Functions and Communicative Mechanisms in
Al-Jahiz' "Message of El Qiyān"

عبد المجيب رحمون

جامعة عبد الملك السعدي - تطوان (المملكة المغربية)، abdelmojib11@gmail.com

ملخص: ينطلق هذا المقال من كون البلاغة الحديثة أو نظرية الحجاج تتصل بالبلاغة القديمة، بحيث يحضر الحجاج في مباحثها في شكل براهين وأساليب بيانية تقوم على الإقناع. ووظفت البلاغة الحديثة هذه المباحث في بعدها التداولي لتؤكد على أن الخطاب البشري بمختلف مجالاته قادر على التأثير. بناء على ذلك توجهت دراستنا لمقاربة رسالة القيان للجاحظ منطلقين من سؤال جوهري: هل استطاع الجاحظ في تصويره للنماذج البشرية أن يتخلص من سلطان التصوير الشعري ويشكل أفقا مغايراً للتصوير في النصوص النثرية؟ ثم ماهي تجليات نظرية الحجاج الحديثة في رسالة القيان؟ وقد توصلت الدراسة إلى كون رسالة القيان رسالة فنية أدبية واجتماعية حققت الوظيفة الجمالية والحجاجية والتواصلية. وشكلت صورة لنموذج المرأة في المجتمع العباسي تتقاطع داخلها البلاغة بالأخلاق، لقد

المؤلف المرسل: عبد المجيب رحمون، الإيميل: abdelmojib11@gmail.com

الوظائف الحجاجية والأدبية التواصلية في "رسالة القيان" للجاحظ _____ مجلة نصل (الطاب
حاول الجاحظ صياغة صورة فنية تعتمد على إثارة أفعال القينة وأخلاقها إلى
جانب الصورة الأصلية في النص وهي الصورة الأدبية.
كلمات مفتاحية: البلاغة، الحجاج، رسالة القيان، المرأة، الأخلاق، الصورة.

Abstract: The current article is based on/emerges from the fact that modern rhetoric or argumentative theory relates to ancient rhetoric, where argumentation assists their investigations in the form of evidence and graphic methods based on persuasion. Modern rhetoric has employed these inquiries in its pragmatic dimension to confirm that human discourse in its various fields is capable of influencing. Consequently, our study led to approach Al-Jahiz' "The Message of EL Qiyān", starting from a substantial question: Was al-Jahiz able, in his human models portrayal, to get rid of/shake off the authority of poetic photography and to form/ forge a different horizon than depiction in prosaic texts? So, what are the manifestations of the modern argumentation theory in "The Message of EL Qiyān? The study concluded that "The Message of EL Qiyān" is an artistic, literary and social message that has achieved the aesthetic, argumentative and communicative function. It formed an image of a woman's model in Abbasid society, within which rhetoric and morality intersected. Al-Jahiz attempted to formulate an artistic image depending on the evocation of/provoking the deeds and their morals of fortune, along with the original image in the text, which is the literary image.

Keywords: rhetoric, argumentation, message of El Qiyān, woman, ethics, image.

تقديم:

«كلنا بلاغيون»؛ هذه العبارة التي ردها "ميشيل مايير" Michael Meyer وكان يعني بقوله هذا؛ أن «البلاغة لم تعد محصورة في الأنواع الخطابية القديمة التي حددها أرسطو في الخطاب السياسي والخطاب القضائي الاحتفالي، بل إنها ماثلة في كل الخطابات التي يتواصل بها الناس في أمور دنياهم العملية والثقافية [فهم] يستخدمون في تواصلهم الحجاج ويمارسون فن الإقناع؛ أي باختصار يتحولون إلى بلاغيين. وهكذا تعني البلاغة إذن التحكم في إمكانات اللغة لأجل التواصل مع الآخرين، وإقناعهم بوجهة نظرك أو رأيك أو موقفك أو سلوكك أو أطروحتك»¹.

انطلاقاً من هذا التصور تلتقي البلاغة مع مجموعة من النظريات كنظرية التواصل، ونظرية الحجاج، ونظرية الاستدلال والبرهنة، والتداوليات واللسانيات، وتبعاً لذلك سنحاول دراسة صورة المرأة/القينة كما تناولتها "رسالة القيان" للجاحظ وذلك من خلال

رصد تجلياتها وتمثلاتها البلاغية التواصلية، والحجاجية في تقاطعها مع تلك النظريات. فماذا نقصد بالحجاج؟ وما علاقته بالبلاغة؟

يعد الحجاج فرعاً من فروع البلاغة الجديدة، التي تبلورت مع جهود "شارل بيرلمان" Chaïm Perelman و"ألبرخت تيتكا" Olbrechts-Tyteca من خلال كتابهما: "مصنف في الحجاج- البلاغة الجديدة" الذي ظهر سنة 1958. ويستمد الحجاج فعاليتيه من الخطاب الإنساني عامة «فإذا أمعنا النظر [فيه] فإنه قد يبدو لنا أغلب أقوالنا تسعى إلى التأثير في سلوك المخاطب».² ويؤكد "فيليب بروتون" Philippe Breton هذا الأمر إذ يقول: «ينتمي الحجاج في الحقيقة إلى مجموع الأفعال الإنسانية التي تسعى إلى الإقناع، فعدد من مقامات التواصل تسعى في الواقع إلى حمل الفرد أو المتلقي أو الجمهور على تبني سلوك ما أو مشاطرة رأي معين».³ فهذا «هو المعنى الموسع للحجاج الذي يشمل الشعور أيضاً؛ إنه الخطاب الذي يسعى إلى تعديل أو تثبيت موقف، أو سلوك المتلقي بالتأثير فيه بالخطاب أي بالكلام، سواء كان ذلك الكلام يغترف من معين العقل أو من معين العواطف والانفعالات».⁴

إن عبارة "ميشيل مايير" Michael Meyer السابقة؛ «كلنا بلاغيون» تؤكد ارتباط الحجاج بالأفعال الإنسانية، فالبلاغة غير مقيدة بحدود، فجميع الخطابات الإنسانية تتسع لإمكاناتها ورحابها،⁵ وكذا ارتباطه بمختلف المدارس والمناهج العلمية، كما أنه ينسجم بشكل مباشر مع نظرية الحجاج اللغوي «التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي "أزفالد ديكر" Oswald Ducrot منذ سنة 1973 وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: «أننا نتكلم عامة بقصد التأثير»، هذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية».⁶ في هذا الصدد يقول "فيليب بروتون" Philippe Breton : «يعد الإقناع إحدى جهات القول الأساس للتواصل، الذي يكون القصد منه إما التعبير عن إحساس، أو عن حالة، أو عن نظرة فريدة إلى العالم، أو إلى الذات، أو يكون القصد منه الإخبار؛ أي وصف موقف معين على أكثر موضوعية، أو يكون القصد منه أيضاً الإقناع بواسطة أدلة تحمل المتلقي على الانخراط في رأي ما. فالتعبير والإخبار والإقناع، ثلاثة

الوظائف الحجاجية والألبيات التواصلية في "رسالة القيان" للجاحظ _____ مجلة نصل (الطاب
سجلات غير مختلطة، على الرغم من أن الحدود بينها ليست بالدقة التي تفرضها النظرية،
وذلك بفعل ثراء الكلام الإنساني».⁷

هكذا يرتبط الحجاج في المقام الأول بشبكة تواصلية تتمثل في ثلاثة عناصر رئيسة
وهي: المرسل، الرسالة، والمرسل إليه. وهي نفسها العناصر الكلامية التي شرحها اللسانيون،
لذلك «يفيد الحجاج أولاً التواصل؛ فنحن في موقف تواصلية يتضمن مثل أي موقف من
هذا النمط رسالة ومشاركين، أي دينامية حقيقية».⁸ وتعود «نشأة الحجاج إلى نشأة اللغة
والمعرفة».⁹ فالمعرفة حاجة فطرية في الإنسان، فهو مجبول على الاكتشاف والبحث، ولعل
في بداية الخلق ما يؤكد ذلك؛ فالأكل من شجرة الخلد كان بدافع المعرفة؛ كرفض ضمني
لنهي إلهي؛ رفض أملاه رغبة "حواء"؛ وبعدها "آدم" لاكتشاف كنه الشجرة المنهية عنها،
وقصة "حي بن يقضان" التي أبدع في تصويرها الفيلسوف "ابن طفيل" تجسد بدورها لرغبة
ذلك الطفل في معرفة أسباب توقف الحياة عند الظبية التي كانت ترضعه. فالإنسان في
وضعية حجاجية منذ البداية، والمعرفة جزءاً من ثقافته، فهي تستنفر قواه الداخلية من
أجل البحث والتواصل مع العوالم الخارجية، وأثناء هذا البحث والتواصل تنمو درجات
الإقناع والتأثير، بحيث تتعدد المسارات التواصلية وبالتالي نمو الفعل الحجاجي «وحيث
يواجه كل فرد في حياته اليومية مواقف حجاجية عديدة فإن مثل هذه المعرفة تشكل جزءاً
من الرصيد الثقافي الأساس الذي يمكن أن يكتسبه جميع الناس».¹⁰

وارتباطاً بالمواقف الحجاجية المتعددة المنبثقة من معرفة مسبقة والتي يمكن
التمثيل لها في أماكن متعددة: في الجامعة، في المدرسة، في السوق، في البيت، في الشارع، .
وحتى ما نقوم به الآن هو وضعية حجاجية.. فإن «عملية المحاججة تقوم على ثلاثة مصادر:

■ ثقافتنا وتاريخنا وكفاءتنا التقنية (مصدر معرفي)؛

■ طريقة تفكيرنا (العادات الاستدلالية، المنطق، النماذج الرياضية، التجريب)؛

■ خاصيتنا الانفعالية (العواطف والأحاسيس).

وهذا المعنى يكون الحجاج ممارسة نفسية-منطقية مندرجة في ثقافة معينة، ويتم
إعدادها من أجل التفاعل مع الممارسة النفسية المنطقية للشركاء المعنيين، أو بكل بساطة
من أجل التفكير في اتخاذ هذا القرار أو ذاك».¹¹

ونحن إذ لا نقيم حدوداً بين البلاغة القديمة ونظرية الحجاج الحديثة، نشير إلى أن
النص المدروس تتداخل فيه مختلف النظريات والمناهج، لأن نصاً معيناً يمكن أن نقاربه

تداولياً أو لغوياً، أو لسانياً، أو تواصلياً، أو وظيفياً أو بإحدى هذه المناهج، فطبيعة النص تفرض على الباحث ترجيح مقارنة دون أخرى علماً أن النص يمكن أن يحتويها كلها بشكل أو بآخر.

◎ الحجاج والتواصل في رسالة القيان

«لا تواصل باللسان من غير حجاج ولا حجاج بغير تواصل باللسان»¹² تمنح هذه العبارة عدم إمكانية الفصل بين الحجاج والتواصل "فالحجاج يفيد التواصل؛ فنحن في موقف تواصلية يتضمن مثل أي موقف من هذا النمط رسالة ومشاركين، أي دينامية حقيقية،¹³ ويدل لفظ "التواصل" على معان ثلاثة متميزة فيما بينها:

أحدهما، نقل الخبر؛ ولنصطلح على تسميته هذا النقل بـ "الوصل".

الثاني، نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم؛ ولنطلق على هذا

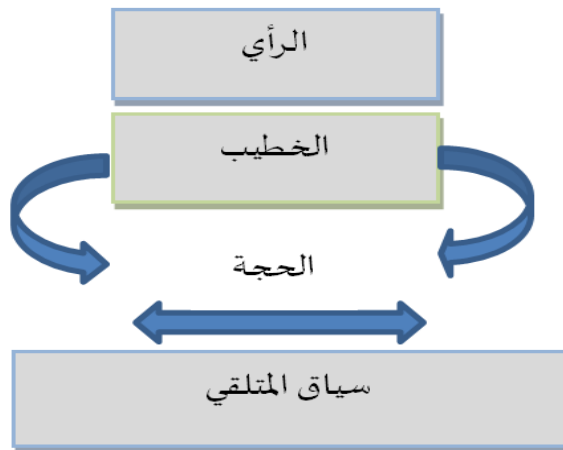
الضرب من النقل اسم "الإيصال".

الثالث، نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم ومقصده الذي هو

المستمع معاً؛ ولندع هذا النوع من النقل باسم "الاتصال".¹⁴

ولتوضيح عملية التواصل الحجاجي يقترح "فيليب بروتون" Philippe Breton هذه

الخطاطة:¹⁵



من منطلق كون الحجاج يعني التواصل في بعض جوانبه؛ سنحاول كما أسلفنا أن

نقارب "رسالة القيان" للجاحظ.¹⁶ مقارنة حجاجية تواصلية، نرصد من خلالها الجوانب

المتعلقة بالتواصل ضمن المخطط اللساني: المرسل، المرسل إليه، والقناة.

الوظائف الحجاجية والألبيات التواصلية في "رسالة القيان" للجاحظ _____ مجلة نصل (الطاب

في البداية نشير إلى أن "الرسالة" جاءت كجواب أو خطاب على من ينكر ملك القيان «فوضعنا في كتابنا هذا حججاً على من عابنا بملك القيان»،¹⁷ وهي موجهة إلى «أهل الجهالة والجفاء، وغلط الطبع، وفساد الحس»،¹⁸ من «المتمتعين بالقيان وبالإخوان».¹⁹ نلاحظ أن الرسالة تكشف منذ بدايتها عن طبيعة حجاجية تواصلية، يُستخلص من خلالها الدفاع والاحتجاج للقيان وهن نساء من الرقيق عرفن بالغناء ومجالس السمر واللو،²⁰ فبعد أن حددت الرسالة مسارها الحجاجي؛ تُحدد إلى جانب ذلك مسارها التواصلي والذي يعبر عنه حرفاً الجر: "من" و "إلى" ويقدم لنا هذا المسار على هذا الشكل:

(من) المرسل	الرسالة	(إلى) المرسل إليه
[الجاحظ]	[رسالة القيان]	[المنكرون]

فرغم أن المخطط كلاسيكي؛ إلا أنه ينطبق على كل أنماط التواصل، ويمكن التعبير عنه كما يلي: «يبحث مرسل لمرسل إليه رسالة بخصوص شيء ما عبر قناة ما وهذه الرسالة مشكلة بفضل تقنين معطى».²¹ واستناداً إلى "رسالة القيان" يمكن القول بأنها تنقسم إلى قسمين: "قسم تمهيدي" يمهّد فيه الجاحظ لاحتجاجه، و"قسم تفسيري وصفي" يتضمن مختلف الحجج التي تمكنه من الدفاع عن أطروحاته، فمن خلاله يرئ السامع (المرسل إليه) ويزعزع معتقداته منذ البداية كما يشكك في دعواه [إنكاره لفضل القيان]، ويستميل عقله وقلبه ويضعف آليات الدفاع عنده بشكل تدريجي ناصباً نفسه طرفاً قوياً في المحاجة، فرغم صمت الإنسان وإحجامه عن الكلام لا يعد ذلك باطلاً «فإنه ليس كل صامت عن حجته مبطلاً في اعتقاده ولا كل ناطق بها لا برهان له محقاً في انتحاله».²² نستفيد من هذا الكلام أن الصمت قد يكون حجة على صدق الاعتقاد والكلام ليس بحجة على صدق الاعتقاد إن لم تكن حجة معقولة، لكن حتى لا يصبح الصمت «إقراراً بصدق العضية»،²³ قرر الجاحظ أن يؤلف رسالته دفاعاً عن امتلاك القيان.

أما في القسم الثاني فيُباشر عملية وصف وتصوير القينة؛ وعليه يمكن اعتبار القسم الأول نظرياً، والثاني إجرائياً وصفيّاً حجاجياً.

نلاحظ أن الجاحظ يقوم باستدراج خصومه إلى الاعتقاد بفكرته، فقد بدأ خطبته بالبرهنة والدليل على أن إحجامه عن الرد لم يكن من قبيل بطلان دعواه؛ ولكن باعتبار «أن

الحق مكتف بظهوره، مبين عن نفسه، مستغن عن أن يستدل عليه بغيره»²⁴ لينتقل بعد ذلك إلى آلية من آليات الحجج المنطقي وهي الاستنباط إذ انطلق من العام إلى الخاص «الإنسان علتة الإنسان و[أن] الأنثى خلقت له ليسكن إليها وجعلت بينه وبينها مودة ورحمة»²⁵ ويستطرد الجاحظ في دفاعه عن القينة بإثبات مجموعة من الحجج: كالحجج التاريخية والدينية، وإيماناً منه بأهمية الخلاف بينه وبين من ينكر ملك القيان؛ يمد جسور التواصل بين الخصوم في إطار الإخبار والإبلاغ، باعتبار أن هذه الرسالة هي جواب عن سؤال ضمني: ما العيب في امتلاك القيان؟ وبناء على هذا السؤال قام الجاحظ ببناء رسالته حججياً. فكيف كان تصور الجاحظ للقينة؟ وماهي حدود وصف هذا النوع من النساء؟ وما هي الآليات الحججية التي استخدمها الجاحظ في الدفاع عن أطروحاته؟ وكيف حضرت صورة المرأة من خلال هذه الرسالة؟ وأين تكمن حجاجية صورتها؟.

■ حجاجية صورة المرأة/ القينة

لقد سبقت الإشارة إلى أن الجاحظ رسم منذ البداية مساراً تواصلياً بينه وبين خصومه، هذا المسار امتد ليصل إلى الجزء الثاني من الرسالة، إذ يمهّد لحديثه ودفاعه عن القيان بإباحة النظر إليهن «و مفاكهن و مغالتهن و مصافحتهن للسلام ووضع اليد عليهن للتقليب والنظر، حلال مالم يثبت ذلك ما يحرم»²⁶، والتقليب جائز من كونهن «تجارة من التجارات تقع عليه المساومات والمشاركة بالثمن، ويحتاج البائع والمبتاع إلى أن يستشفا العلق ويتأمله تأملاً بيناً»²⁷. ويتضح أن الجاحظ يعتمد القاعدة الفقهية "كل شيء مباح ما لم يثبت تحريره بالنص"،^(٤) والحجة التاريخية في كون «القيان عند الملوك من العرب والعجم على وجه الدهر»²⁸ والحجة الأدبية باعتبار أن «فارس تعد الغناء أدباً والروم فلسفة»²⁹، و تنوع الحجج في هذه الرسالة نابع من استراتيجية واضحة عند الجاحظ أساسها الإقناع والتأثير لما تفرضه عملية التواصل. وتكتسب هذه الحجج قوتها الإقناعية الحججية من حمولاتها ودلالاتها الدينية والتاريخية، لأن قوة الحجة من قوة الكلمات وسلطتها. ولاستكمال المسار التواصلي سينتقل الجاحظ إلى تعريف "العشق" فهو: «داء يصيب الروح ويشتمل على الجسم بالمجاورة، كما ينال الروح الضعف في البطش والوهن في المرء ينهكه»³⁰، وبتعريفه للعشق يرسخ لدى المتلقي أن العشق مرتبط بالإنسان فلا يمكن إنكاره تمهيداً لتعريف الحب الذي هو «اسم واقع على المعنى الذي رسم به، لا تفسير غيره»³¹، ويقوم الجاحظ بترتيب حججه بناء على قانون السلم الحججي، الذي يعني علاقة ترتيبية للحجج

الوظائف العجاجة والآيات التواضعية في "رسالة القيان" للجاحظ _____ مجلة نصل الخطاب

بحيث كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة للقول السابق.³² لأن العشق تسبقه مراحل أخرى في المحبة الإنسانية وهي الحب، والهوى، والصبا، والشغف، والوجد، والتتيم...³³ وهنا يتجلى تطبيقه للسلم الحجاجي، فالعشق أقوى حجة من الحب لأنه يعلوه في الترتيب ويلزم عنه ما يقع تحته، وهذه الأقوال كلها تخدم نتيجة صريحة من طرف الجاحظ وهي جواز ملك القينة والتمتع بها. وكأن الجاحظ يقول بأن العشق يقع على القينة بحكم الطبيعة البشرية، وهذا نوع من أنواع الحجاج اللغوي الذي من خصائصه الاستلزام بمعنى: "إذا كان العشق من طباع الإنسان فإنه يقع على القينة باعتبارها أنثى"، فالجاحظ/المرسل يبحث عن آلية مناسبة ينتج بها خطابه ليلبغ قصده، وفي سياق مناسب يستحضر فيه كل مقومات الخطاب الناجع والمتمثلة في عدد من العناصر كالمقام والبيئة والحجة والإفهام؛ إنه يبني استراتيجية الإقناع التي تهدف إلى تغيير موقف المرسل إليه، ووفق هذه الاستراتيجية يتحدد معيار هدف الخطاب،³⁴ وينبغي فعل الإقناع وتوجيهه دوماً على افتراضات سابقة بشأن عناصر السياق خصوصاً المرسل إليه والخطابات السابقة والخطابات المتوقعة،³⁵ والتي مثلها سؤال ضمني آخر هو لماذا كان عشق القيان آفة؟³⁶ على كثرة فضائلهن مادام أن العشق مباح. هذا السؤال سينخرط من خلاله الجاحظ في متواليات من الوصف؛ يحاجج بها عن إباحية امتلاك القيان كجواب عن ذلك السؤال، كما سينخرط فيه المتلقي. ويمكن تقسيم هذه المتواليات إلى المشاهد التالية:

■ **المشهد الأول:** استحواذ صورة القينة على حواس الإنسان، «فإذا جاء باب القيان

اشترك فيه ثلاثة من الحواس، وصار القلب لها رابعاً».³⁷

■ **المشهد الثاني:** تمكن القينة من الحاضرين بفعل غنائها الساحر، «وإذا رفعت

القينة عقيرة حلقها تغني حلق إليها الطرف».³⁸

■ **المشهد الثالث:** غدر القينة وعدم وفائها «إن القينة لا تكاد تخلص في عشقها ولا

تناصح في ودها؛ لأنها مكتسبة مجبولة على نصب الحبال والشرك للمتربطين»، وقد عرف هذا المشهد طويلاً في الأحداث على غير المشهدين السابقين، إذ يبرهن على غدر القينة بقدرتها على الكذب «ثم أخبرته أنها لا تنام شوقاً إليه، ولا تتهنأ بالطعام وجداً به»،³⁹ والتمويه والاحتيال «وربما شاركت صاحبها البلوى حين تأتي إلى بيته فتمكنه من القبلة فما فوقها [...]»⁴⁰ وقد خلص الجاحظ إلى «أكثر أمرها قلة المناصحة»،⁴¹ لأنها تجمع أكثر من عاشق و«تذكر لكل واحد منهم تبرهما للباقيين وحرصها على الخلوة به

ودونهم».⁴² ويعتبر الجاحظ أن القينة سلاح من سلاح إبليس ويزعم أن هذه الصفات ليست بدم «ولكنه من فرط المدح، وقد جاء في الأثر: "خير نسائك السواحر الخلابات".⁴³ يذكرنا الجاحظ في هذا المشهد (وصف القينة) باحتجاجة للبخل؛ فمتى يشاء يُظهره بصورة حسنة، ومتى شاء يُظهره بصورة سيئة، إنه يحتج للشيء وضده. يقول محمد مشبال: «فالجاحظ يمتلك القدرة على الاحتجاج للشيء ونقيضه؛ أن يحتج للبخل ويظهره في صورة تدبير وإصلاح، أو يحتج ضده فيخرجه في صورة شائنة ساخرة تنزل بالبخل إلى أسفل الدركات».⁴⁴

■ **المشهد الرابع:** إسقاط العفة عن القينة "فكيف يمكنها أن تكون عفيفة [...] وهي تنشأ من لدن مولدها إلى أوان وفاتها بما يصد عن ذكر الله من لهو الحديث، وصنوف اللعب والأخانيث، وبين الخلعاء والمجان [...] وتروي الحاذقة منهن أربعة آلاف صوت فصاعدا [...] ليس في ذكر الله إلا من غفلة ولا ترهيب من عقاب، ولا ترغيب في ثواب».⁴⁵

■ **المشهد الخامس:** ثراء واستفادة مالك القينة بحيث «إن الناس يقصدونه في رحله بالرغبة [...] ويرسلون إلى بيت مالها بصنوف الهدايا والأطعمة والأشربة فإذا جاءوا حصلوا على النظر وانصرفوا بالحسرة ويجتني مولاهم ثمرة ما غرسوا، ويتملى به دونهم».⁴⁶ والجاحظ وهو يتحدث عن الجانب الاجتماعي للقينة إنما يبرز فضائلها في المجتمع والمكانة التي تحظى بها عند الرجل لذلك فهو لا يصف الجمال الأنثوي بقدر ما يحاول رصد تأثير جمال المرأة في المحيط الإنساني الذي يعيش فيه، فهو يهتم أساساً بما يترتب عن جمال القينة جسماً وصوتاً من نتائج،⁴⁷ ويدرك جيداً أن ما يقوم به المُقِن مع قينته صناعة كريمة «فأي صناعة في الأرض أشرف منها!».⁴⁸ والوصف بهذه الطريقة الذي يتجاوز الوصف الفيزيولوجي إلى التصوير الاجتماعي يرمي بالأساس إلى التوثيق التاريخي «فقينة الجاحظ ليست شخصاً واقعياً بل نموذجاً فنياً صنعه الكاتب وأنشأه إنشاءً».⁴⁹

وفي المشهد ذاته يمكن القول إن الجاحظ يطرح إمكانية التجارة في القينة «لأنه يجوز أن تباع الجارية من المَلِي فيصيب منها وهو في ذلك ثقة، ثم يرتجعها صاحبها بأقل مما باعها به فيحصل له الربح».⁵⁰ وتجارة القينة من الصور الاجتماعية التي تطرحها البنية المجتمعية السائدة آنذاك، «فالعبيد والرقيق والقيان أصناف بشرية يتحولون إلى بضاعة، ويخضعون لقانون العرض والطلب».⁵¹

الوظائف الحجاجية والألحاح التواصلي في "رسالة القيان" للجاحظ _____ مجلة نصل (الطاب

وقد عمد الجاحظ إلى خاصية التصوير وهي إحدى الخاصيات التي قام عليها نثر الجاحظ وقد وظفت قراءة "صالح بن رمضان" هذه الخاصية البلاغية بوعي نقدي نظري واضح الملامح، فقد ارتبط التصوير في هذه القراءة بسؤال الأدبية والبحث عن خصائص نثر الجاحظ الفنية على نحو ما ارتبط بسؤال التجنيس: هل استطاع الجاحظ في تصويره للنماذج البشرية أن يتخلص من سلطان التصوير الشعري ويشكل أفقا مغايراً للتصوير في النصوص النثرية.⁵² ولعل خاصية الوصف/التصوير لم تنفصل عن السياق الحجاجي للرسالة والمقام التواصلي الذي أسسه منذ البداية.

ولما كان المتلقي في الرسالة هم المنكرون بملك القيان، جاءت الحجج لتغير هذا الاعتقاد وأضحت الرسالة «بوصف[ها] فعلا يسعى إلى تغيير سياق التلقي أو آراء المتلقي بتعبير آخر».⁵³ وتمثلت الحجج في حجة السلطة التي تطرقت إلى الجوانب التاريخية للقيان، ثم الحجج الدينية والاجتماعية وآليات القياس والبرهان. لقد تم الاستعانة بهذه الحجج باعتبارها جزءاً من بناء النص وفق تصور حجاجي تواصلي، سيدعمه ويقويه الجاحظ بآليات حجاجية أخرى جمعت بين الوصف والسردي؛ وصف القينة في أفعالها وحركاتها وسرد بعض الروايات التي تدور في بيت المُقَيْن؛ عبر وحدات سردية، كل هذه التقنيات يمكن إدراجها في الحجاج بواسطة الإحالة إلى حقائق ووقائع ترسيخاً منه لمبدأ التواصل. الذي يبدو هنا كتقنية موجهة ومبرمجة من طرف [الجاحظ]، هذه التقنية تخضع للقواعد الخاصة بلغة التواصل.⁵⁴

لقد وظفت صورة المرأة في رسالة القيان توظيفاً فنياً وبلاغياً، سُخرت من أجله إمكانات معرفية وحجاجية بهدف الإقناع والإمتاع، واجتماعياً بغرض نقل صورة عن وضعية القيان داخل المجتمع العباسي، ومهما حاولنا طمس طبيعة هذه الصورة التي تنتقص من المرأة فلا يمكننا ذلك فهي صورة نمطية مترسخة في اللاوعي الذكوري، وكمرستها الأنثى نفسها كاستجابة عن طواعية لسلوك وموقف اتجاهها، وقد تساءل وأبدى استغرابه أحد الباحثين كيف أن الجاحظ «انتقى القينة موضوعاً لوصفه وقارها من إبليس في الدهاء والمكر ثم أردف بأن هذا من فرط المدح ولم يتناول بالبحث والدراسة المرأة الفقيهة، العالمة، الأدبية [...] خاصة أن العصر العباسي [...] شهد نساء شهيرات ذكرت الكتب والتراجم عنهن».⁵⁵ لقد كان الجاحظ على علم بهذه المسألة؛ وقد تحدث في مواضع ومقامات أخرى عن نساء عرفن بالزهد والصالح وحسن التدبير، لكن سياق هذه الرسالة ومقامها اقتضى

الحديث عن القينة من أجل خدمة غرض فني يتجاوز القواعد الشعرية إلى نموذج يستلهم الإمكانات النثرية من وصف وتخيل وحجاج، فانطلق في وصفه من ظاهرة حضارية عامة لم يكشف عنها الشعراء في تصويرهم للمرأة المغنية لذلك فوصف القينة عند الجاحظ لا يخص قينة معينة ومحددة، بل القينة التي تكتمل في شخصها صناعة القيان كلهن.⁵⁶ لقد اختار الجاحظ القينة موضوعاً للوصف من جهة كونها مادة غزلية خصبة، ومن جهة أخرى الرد على المشككين والمنكرين الذين يرفضون امتلاك هذا الصنف البشري، وأشرك في خطابه السردى الوصفى المتلقي عبر الأسئلة التي يمكن أن يطرحها هذا الأخير.

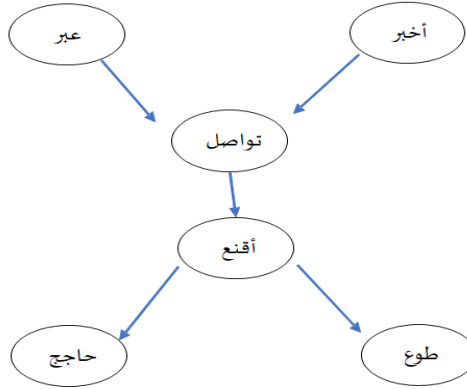
إن صورة القينة في هذه الرسالة هي صورة للمرأة المملوكة عموماً تتميز بالحركية والدينامية وتنشط لفعل الغناء والرقص،^(*) كما هي صورة ضيقة مختزلة في اللهو والجنس ولا تتطرق للجوانب الإبداعية رغم أن فعل الغناء إبداع؛ لكنه بداية لمسلسل ماجن في هذه الرسالة «إذا شاهدتها المشاهد رامته باللحظ وداعبته بالتبسم، وغازلته في أشعار الغناء ولهجت باقتراحاته ونشطت للشرب عند شربه، وأظهرت الشوق إلى طول مكثه [...]». ⁵⁷ هذه لوحة من اللوحات التصويرية التي رسمها الجاحظ للقينة وهي وحدة سردية صغرى ضمن وحدة كبرى تكشف عن أفعال القينة ومواقفها من خلال نقائصها وكأنه يقول: «تكتمل القينة بأخلاقها السيئة» فأصبح سوء الخلق مرادفاً للصالح والجمال عند قينة الجاحظ؛ فقدرتة على الاحتجاج للشيء بضده بارزة في هذه الرسالة، لذلك فالإقناع الذي يروم الجاحظ تحقيقه يقوم على التلاعب البسيكولوجي فالمرسل إليه حين يقرأ في البداية هذه العبارة «فوضعنا في كتابنا هذا حججاً على من عابنا بملك القيان» سيبرئ نفسه إلى قراءة/سماع محاسن القينة الأخلاقية وليس مساوئها. ويتم هذا الإقناع من خلال ثلاث زوايا:⁵⁸

1. زاوية بنية وسائل الاتصال وتتمثل في المقاربة السوسيولوجية لظاهرة حضارية يعرفها المجتمع العباسي وهي ظاهرة "ملك القيان" وقد تحكم الجاحظ في الخبر وقام بتوجيهه بناءً على آليات سردية ووصفية تقوم على التصوير الدقيق والواقعي لحركات القينة مركزاً على المظهر الحسي؛

2. زاوية محتوى الرسالة وتراوح بين حجة السلطة والحجة الدينية والحجة التاريخية والحجة الاجتماعية (الواقع) من أجل الإقناع الذي يحيل على الزاوية الثالثة؛

الوظائف الحجاجية والألبيات التواصلية في "رسالة القيان" للجاحظ _____ مجلة فصل الخطاب

3. زاوية الآثار التي يحدثها الإقناع وتتم من خلال تحليل النماذج الخاصة بتغيير الموقف وتشكل الآراء، وهذا ما عبرت عنه الرسالة منذ بدايتها بشكل تسلسلي ومتدرج، إذ جاءت محاور النص مترابطة بالشكل الذي قد يضمن لها تغيير آراء المتلقي/ المرسل إليه. وأثناء عرض الجاحظ لموقفه من القينة لم يكن يتحدث مع متلق خالي الذهن؛ بل مجموعة مخصصة من الناس تنكر ملك القيان أو القراء بشكل عام لذلك «فالحجاج بمصطلحات التواصل يقتضي الأخذ بعين الاعتبار جهات القول على مستوى الحجة، فلا يمكن اقتراح رأي على متلق خالي الذهن كل واحد يمتلك مسبقاً وجهة نظر قريبة من الرأي المقترح عليه»،⁵⁹ ويقترح "فيليب بروتون" شكلاً من أشكال التواصل سماه بالسجلات المتنوعة للتواصل، ونراه. نوعاً ما. ينطبق على "رسالة القيان":⁽⁶⁰⁾



انطلاقاً من هذا الشكل يتضح أن فعل التواصل يرتبط بالتعبير ثم الإخبار والإقناع بالتطويع والمحااجة، واستناداً إلى طبيعة الرسالة يمكن استبدال فعل التطويع لارتباطه بتعبير الجسد الذي يتخذ شكلاً عنيماً أحياناً؛⁶¹ بفعل المخاتلة أو الإذعان والذي يحيل في الرسالة على تنوع الحجج والاستطراد كسمة أسلوبية تميز نثر الجاحظ. ويبني الجاحظ/المرسل استراتيجية الإقناع في هذا النص اعتماداً على كفاءته التداولية بوصفها دليلاً على مهارته الخطابية؛ إذ يغدو الإقناع سلطة عند المرسل⁶²

باعتبارها غاية وسيلتها اللغة التي تمثل الحجج في سياقها المقامي.⁶³ وقد صاغ كل من "شايم بيرلمان" Chaïm Perelman و"ألبرخت تيتكا" Olbrechts-Tyteca في هذا الإطار مفهوماً دقيقاً عن الحجج والغاية منه؛ فهما يعتبران أن «إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج؛ فأنجع حجة هي تلك التي تنجح في تقوية حدة الإذعان عند من يسمعها، وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء

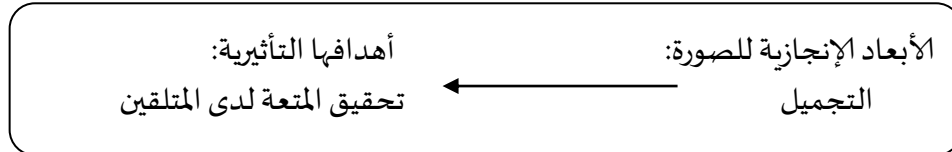
بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، أو هي على الأقل ما تحقق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة».⁶⁴

وجواباً عن الأسئلة التي طرحناها في البداية نقول بأن حجاجية صورة المرأة تجسدت عبر ثلاث وظائف: جمالية، معرفية، و حجاجية.

- الوظيفة الجمالية:

وتتمثل في رسم الجاحظ لصورة دقيقة عن المرأة من خلال نموذج القينة؛ هذه الصورة تتوسل ببلاغة النثر وقد لخص "محمد مشبال" هذه الوظيفة في سؤاله التالي: «هل استطاع الجاحظ أن يصوغ صورة للمرأة المغنية خارج الحدود التي رسمها لها الشعر؟ وبعبارة أخرى هل يمكن تحديد سمات بلاغية خاصة بصورة المرأة في النثر؟».⁶⁵ وقد حاول أن يقرأ هذه الرسالة من خلال تحقيقها للوظيفة الجمالية فتوصل إلى أن الجاحظ صوّر القينة في لغة نثرية سردية قائمة على تجسيم الحركة والنفاد إلى دقائقها ومنعرجاتها والإحاطة بعالمها الشعوري، ومكنته الجملة النثرية وأساليب السرد القائم على توليد الأفعال من تجسيم الحركة والتوسع في وصفها، وقد استطاعت هذه المنهجية في الكتابة تحقيق وظيفة الإمتاع والإفادة، فبلاغة الإمتاع راجعة في الأساس إلى تمكن لغة النثر من الإحاطة بكل المعاني، واستقصاء جميع فروعها وخاصة إذا كان النثر مرسلاً لا ترهقه قيود السجع، ونظراً لخصوصية الجملة النثرية التي تقوم على الازدواج فإنها تساعد صاحبها على الإطناب في التحليل وتشقيق المعاني وتفريغها.

أما الإفادة فتتحقق من خلال اكتساب المعلومة والمعرفة وهو ما سنقف عنده من خلال الوظيفة المعرفية ويمكن صياغة الوظيفة الجمالية تداولياً على الشكل التالي:⁶⁶



ومن هذه الزاوية تبرز وظيفة الصورة الجمالية، إذ أنها ومن خلال تصوير الأشياء ومحاكاتها تحقق للمتلقى تلك اللذة، وذلك الإعجاب الذي قد لا يتحقق له عند رؤية الشيء نفسه وهذا ما عمل الجاحظ على ترسيخه في الرسالة، إذ لم ينقل صورة المرأة الحسية كما تغنى بها الشعراء، وإنما فعل الغناء والرقص وكيف ينفذ إلى أعماق النفس.

الوظائف الحجاجية والألحاح التواصلي في "رسالة القيان" للجاحظ

- الوظيفة المعرفية: يسميها " أوليفي روبول " Olivier Reboul بالوظيفة التعليمية pédagogique Lafonction،⁶⁷ وقد تمثلت في هذه الرسالة من خلال إفادة المخاطب بمجموعة من المعطيات التاريخية والدينية والاجتماعية حول امتلاك القيان، وبهذا تشكل هذه الوظيفة حلقة أساس ضمن عملية الإبلاغ التي يقوم عليها كل تواصل بشري، إنه الإبلاغ المبين الذي يركز عليه الجاحظ في مختلف مصنفاته لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هي الفهم والإفهام ويمكن التمثيل لهذه الوظيفة تداولياً كما يلي:⁶⁸

الأبعاد الانجازية للصورة:	أهدافها التأثيرية:
التنشيط الذهني	التسيير الجيد للمعرفة
1. التركيز على ماهو معرفي؛	من خلال:
2. بناء المفاهيم.	1. إدراك الرسالة؛
	2. فهمها جيداً؛
	3. اكتشاف أشياء جديدة.

- الوظيفة الحجاجية:

تختزل هذه الوظيفة؛ الوظيفتين السابقتين لذلك أرجأنا الحديث عنها، فالعنصران؛ الجمالي والمعرفي آليتان من آليات الحجاج، إذ يظهر الأول في الجانب البياني الأسلوبي، والثاني في ترتيب المعلومات، وتقديمها بشكل مناسب يتنافى مع الحجاج التموهبي الذي يقوم على المغالطة أو المصادرة.^(*) وتستمد رسائل الجاحظ جزءاً من حجاجيتها من ارتكازها على قيم ومواضع (Lieux) مفضلة عند المتلقي الذي يخاطبه سواء أكان فرداً أو جماعة. والقيم والمواضع ليست حججاً بالمعنى التقني للفظ، بل هي المحتوى الذي ينتظم في علاقات أو قوالب تسمى الحجج.⁶⁹ والحجاج بالقيم يعد وسيلة لاستجلاء الخطاب الأخلاقي والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع العباسي. كما يكشف عن دور بلاغة النثر في تحديد واقعاً حضارياً ساد في عصر الجاحظ.⁷⁰

■ خاتمة

بناء على ما تقدم تبين لنا أن الجاحظ قد مارس تقنيته المفضلة في الكتابة من خلال هذه الرسالة وهي تقنية تقوم على الاستطراد والانتقال من موضع لآخر، بغرض تدعيم حجته، وبالتالي الاحتجاج للقيان ومالكهم. إن القينة عند الجاحظ تلبس رداءين: رداء

الإغواء والسحر في نفوس الرجال، ورداء الخيانة والاحتيال، وإذا نظرنا إلى الصورة المزدوجة للقينة، فإننا نلفي الجاحظ يجمع بينهما في توليفة لغوية أسلوبية حجاجية تقوم على الانتصار للقيان ضد من يعيب امتلاكهم؛ انتصاراً من خلال أفعال القينة التي تسم أغلبها بالاحتيال والمكر «إن القينة لا تكاد تُخالص في عشقها، ولا تناصح في ودها؛ لأنها مكتسبة ومجبولة على نصب الجبال والشرك للمتربطين»⁷¹ معتقداً أن هذا الرأي من فرط مدحهن لهن.

وهكذا نصل إلى القول بأن «وصف القينة في نص الجاحظ لم ينفصل عن البحث في مختلف الحجج وصياغتها في بنى لغوية، ووجوه أسلوبية مناسبة لمقام الدفاع عن قيمة القينة، وحضورها الاجتماعي وتأثيرها في النفوس، وتبرئتها من تهمة الزنا التي يسعى بعضهم إلى إلصاقها بها. فوصف القينة في هذا النص ليس سوى متوالية من الحجج المتضافرة التي تسند في النهاية قيمة للموضوع الموصوف لأجل حمل المتلقي / المرسل إليه على تبني موقف إيجابي منها»⁷².

ومن ثمة فإن صورة القينة في الرسالة شكلت نقطة تقاطع البلاغة بالأخلاق، فلقد حاول الجاحظ صياغة صورة فنية تعتمد على إثارة أفعال القينة وأخلاقها إلى جانب الصورة الأصلية في النص وهي الصورة الأدبية.

لقد كان الجاحظ واعياً بمسؤوليته في تأليف هذه الرسالة إذ يقول: «هذه الرسالة التي كتبناها من الرواة منسوبة إلى من سمينها في صدرها، فإن كانت صحيحة فقد أدينا منها حق الرواية، والذين كتبوها أولى بما قد تقلدوا من الحجة منها وإن كانت منحولة فمن قبل الطفيلين؛ وإن كانوا قد أقاموا الحجة في أطراح الحشمة، والمتربطين(*) ليسهلوا على المقنين ما صنعه المقترفون(♦)، فإن قال قائل: إن لها في كل صنف من هذه الثلاثة الأصناف حظاً وسبباً فقد صدق، وبالله سبحانه التوفيق»⁷³.

ويمكن إجمال المسؤولية في ضرورة الإفهام والإبلاغ وما تقتضيه هاتين الوظيفتين من حضور المقام الذي يعتبر من الآليات الدقيقة في الحجاج.

مراجع البحث وإحالاته:

1- فيليب بروتون، "الحجاج في التواصل"، ترجمة محمد مشبال وعبدالواحد التهامي العلمي، من مقدمة المترجمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، عدد 2338، الطبعة الأولى، 2013، ص: 09.

- 2- محمد الولي، "مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، مجلة عالم الفكر، مجلد، 40، عدد 2 أكتوبر. دجنبر 2011، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص: 15.
- 3- "الحجاج في التواصل"، م.م، ص: 18.
- 4- محمد الوالي، م.م، ص: 17.
- 5 - Kibédi Varga , discours, récit, image, Pierre Mardaga Editeure, Liège, Bruxelles, 1989, p : 35.
- ويربط الناقد مفهوم البلاغة هنا بإمكانية الكلام البشري على التعبير والتواصل، وهو بذلك يجعل من البلاغة حقلاً واسعاً، فيلإي أي حد يمكن اعتبار كل الخطابات البشرية بلاغية؟
- 6- أبو بكر العزاوي، "اللغة والحجاج"، العمدة للطبع والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ص: 14.
- ويرى عبدالله صولة «أن ليس كل قول حجاج، وليست اللغة بكل وحداتها المعجمية ذات طاقة حجاجية في ذاتها، وفوق هذا وذاك فإن لطبيعة النص دوراً أساساً في إكساب لغته بعداً حجاجياً أو عدم إكسابها إياه». الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، لبنان، الطبعة الثانية، 2007، ص: 40.
- 7- "الحجاج في التواصل"، م.م، ص: 18.
- 8- فيليب بروتون، م.م، ص: 33.
- 9- نفسه، ص: 31.
- 10- نفسه، ص: 31-32.
11. ليونيل بلينجير، "الآليات الحجاجية للتواصل"، ترجمة عبد الرفيق بوري، مجلة علامات، مكناس المغرب، عدد 21، سنة 2004، ص: 32.
- 12- طه، عبد الرحمن، "التواصل والحجاج"، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس العاشر، الموسم الجامعي 1993-1994، جامعة ابن زهر، كلية الآداب، أكادير، المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ص: 05.
- 13- فيليب بروتون، م.م، ص: 33.
- 14- طه عبد الرحمن، م.م، ص: 05.
- 15- "الحجاج في التواصل"، م.م، ص: 36. تقوم هذه الخطاطة على عدم الفصل بين ما يفكر فيه الخطيب وبين ما يتلفظ به أي ما يترك هامشاً أو مسافة بين هذين المستويين فالموضوع الواحد يمكن أن يقدم بحج متنوعة ومختلفة بحسب طبيعة الجمهور المتلقي.
- 16- "رسائل الجاحظ"، ج 2، تحقيق وشرح عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1964، ص: 143، وسنشير لا حقا إلى المصدر اختصاراً بلفظ "الرسالة".

- 17- نفسه، ص: 146.
- 18- نفسه، ص: 143.
- 19- نفسه.
- 20- انظر محمد مشبال، "خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقارنة بلاغية حجاجية"، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2015، ص: 107.
- 21- انظر: يمينه تابتي، "التواصل الحجاجي في الرسائل الصغرى لابن عباد الرندي"، مجلة الخطاب، عدد 10، جامعة تيزي وزو، الجزائر، يناير 2012، ص: 81.
- 22- "الرسالة"، ص: 144.
- 23- نفسه، ص: 145، وتعني العضمية الإفك واليهتان (المحقق).
- 24- نفسه، ص: 144، الأصل مكيف (زيادة من المحقق لاكتمال المعنى ووضوحه).
- 25- نفسه.
- 26- "الرسالة"، ص: 163.
- 27- نفسه، ص: 161.
- (♦) - يعتقد الجاحظ أن النظر ولمس القينة ليس من المحرمات لأنه ليس هناك نص يحرم ذلك، وهو بذلك يضمن كلامه بالآية الكريمة ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ [المؤمنون: 5-6] ويراد به النساء المملوكات خصوصاً ويسمين: الجواري والسراري وملك اليمين، ويجوز مالمكها أن يطأها ويستمتع بها بغير عقد زواج بل بملك اليمين.
- 28- "الرسالة"، ص: 158.
- 29- نفسه.
- 30- الرسالة، ص: 166.
- 31- نفسه، ص: 167.
- 32- انظر أبو بكر العزاوي، "اللغة والحجاج"، م.م، ص: 26.
- 33 -Fatéma Mernissi, L'Amour dans les pays musulmans" Atravers le miroir des textes anciens", Edition Le Fennec, casablanca, (Maroc), Novembre 2007, p : 165.
- 34- انظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2004، ص: 444.
- 35- نفسه.
- 36- محمد مشبال، "خطاب الأخلاق"، م.م، ص: 107.

- 37- الرسالة، ص: 170.
- 38- نفسه، ص: 171.
- 39- نفسه، ص: 174.
- 40- نفسه.
- 41- نفسه، ص: 175.
- 42- نفسه.
- 43- نفسه.
- 44- محمد مشبال، "البلاغة والسرد"، م.م، ص: 103.
- 45- نفسه، ص: 176.
- 46- نفسه، ص: 177.
- 47- انظر صالح بن رمضان، "أدبية النص النثري"، طبع مشترك لمؤسسة سعيدان، سوسة، تونس، ودار المسيرة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى دجنبر 1990، ص: 30.
- 48- الرسالة، ص: 180.
- 49- صالح بن رمضان، م.م، ص: 33. وقد ركز الناقد على الجزء المتعلق بالقينة بوصفها ولم يعط للجزء الأول المتعلق بأسباب تأليف الرسالة حقه، والتي أخذت حيزاً وافراً، وربما قراءته الأدبية الوصفية كانت تقتضي تناول الجزء الأول بما أنه يتناول التوثيق كذلك، حيث إن الكاتب يرى أن هذه الرسالة هي وثيقة حضارية، وقد أشار إلى طبيعة الدراسة والمتعلقة بسؤال الأدبية مركزا على الوصف ورغم أن هذا الأخير يمثل إحدى آليات الحجاج البلاغي لما يختزله من تشبيه واستعارة لكنه لم يتطرق إليه من هذا الجانب، على أساس صياغة هذا السؤال مثلاً: كيف يسهم الوصف في بناء النص حجاجياً؟.
- 50- الرسالة، ص: 180.
- 51- Dalida Akoum, La représentation de la femme dans la littérature arabe préislamique, op,cit p : 32.
- 52- انظر محمد مشبال، "البلاغة والسرد"، م.م، ص: 131.
- 53- فيليب بروتون، م.م، ص: 38.
- 54- Michael Riffaterre, La production du texte, Collection Poétique, Edition Seuil, Paris, 1979, p : 10.
- 55- صالحة سنقر، "المرأة عند الجاحظ بين دافعية النمو ودافعية النقص"، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، العدد 61، السنة 61، أكتوبر 1995، ص: 45.
- 56- ينظر صالح بن رمضان، م.م، ص: 23-27-33.
- 24 -

(♦) - تعتبر القيان صناعة توظف الغناء واللهو في حياتها الاجتماعية، كما تعتبر زينة وروح مجالس المسامرات.

Dalida Akoum, op,cit, p : 31.

57- الرسالة، ص: 171.

58- استفدنا من هذا التقسيم من ليونيل بلينجر، م.م، ص: 42.

59- "الحجاج في التواصل"، م.م، ص: 37.

60- "الحجاج في التواصل"، م.م. الصفحة نفسها.

61- يقول عبد الهادي بن ظافر الشهري: "ولهذا تكمن أهمية الحجاج الإقناعي القائم على اللغة في كونه بديلاً عملياً لكثير من وسائل الإغرام مثل القوة المادية، وبذلك فهو الأدلة السلمية التي تضمن التغيير في معتقدات المرسل إليه دون خسران"، م.م، ص: 459.

62- نفسه، ص: 446.

63- يطرح عنصر المقام أهمية بالغة في الدراسات التداولية باعتباره آلية ضرورية من آليات الإقناع، ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2004، ص: 42. ويكتسي المقام عند الجاحظ طابعا تداوليا يجعله يلف كل عملية القول فالمتكلم محكوم باعتباره مخاطبه وباعتبار التلاؤم بين الغرض وصورة قوله، وباعتبار السياق الذي يرد فيه الخطاب "عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، نشر مشترك بين ضفاف، بيروت، لبنان، الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2013، ص: 65.

64- عبد الهادي بن ظافر الشهري، م.م. ص: 459.

65- "البلاغة والسرد"، م.م، ص: 131.

66- كمال الزماني، "حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (ض)"، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2012، ص: 83.

67- نفسه، ص: 75.

68- نفسه، ص: 75-77.

(♦) - يقول صابر الحباشة: "أما الخطأ الذي لا يغتفر في الحجاج فهو المصادرة على المطلوب (la *petition de principe*)، وهو ربط الحجاج بأطروحة تظن أنها صالحة ولكن السامع لا يميل إليها"، م.م، ص: 70-71.

69- محمد مشبال، "خطاب الأخلاق"، م.م، ص: 66.

70- نفسه، ص: 192.

71- "الرسالة"، ص: 171.

72- محمد مشبال، "خطاب الأخلاق"، م.ر.سا، ص: 114.

* - في الأصل: "والمرتبكين" وفي هذه الطبعة "والمرتكبين"، المحقق، ص: 181.

73- "الرسالة"، ص: 181.

قائمة مصادر البحث ومراجعته:

■ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ "رسائل الجاحظ"، ج2، تحقيق وشرح عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1964.

■ أبو بكر العزاوي، "اللغة والحجاج"، العمدة للطبع والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.

■ أبو بكر العزاوي، "حوار حول الحجاج"، الأحمدي للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2010.

■ أحمد الجوة، "التداولية وتحليل الخطاب"، مجلة الخطاب، مجلة الخطاب، عدد 08، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري - تيزي وزو، الجزائر، خاص بأعمال ملتقى البلاغة وتحليل الخطاب، أبريل 2011.

■ أمينة الدهري، "الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة"، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2011.

■ حبيب أعراب، "الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري" مجلة عالم الفكر، ع 1 مجلد 30 يوليوز/شتنبر 2001 منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

■ رولان بارت، "قراءة جديدة للبلاغة القديمة"، ترجمة، عمر أوكان، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1994.

■ صابر الحباشة "التداولية و الحجاج: مداخل ونصوص"، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 2008.

■ صالح بن رمضان، "أدبية النص النثري"، طبع مشترك لمؤسسة سعيدان، سوسة، تونس، ودار المسيرة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى دجنبر 1990.

■ صالحة سنقر، "المرأة عند الجاحظ بين دافعية النمو ودافعية النقص"، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، العدد 61، السنة 61، أكتوبر 1995.

■ طه عبد الرحمن، "التواصل والحجاج"، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس العاشر، الموسم الجامعي 1993-1994، جامعة ابن زهر، كلية الآداب، أكادير، المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، لبنان، الطبعة الثانية، 2007.
 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2004.
 - فيليب بروطون، "الحجاج في التواصل"، ترجمة محمد مشبال وعبدالواحد التهامي العلمي، من مقدمة المترجمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، عدد 2338، الطبعة الأولى، 2013.
 - كمال الزماني، "حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (ض)"، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2012.
 - ليونيل بلينجير، "الآليات الحجاجية للتواصل"، ترجمة عبد الرقيق بوريكي، مجلة علامات، مكناس المغرب، عدد 21، سنة 2004.
 - محمد العمري، "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، يناير 2005.
 - محمد الولي، "مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، مجلة عالم الفكر، مجلد 40، عدد 2 أكتوبر-دجنبر 2011، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
 - محمد مشبال، "أسرار النقد الأدبي: مقالات في النقد والتواصل"، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى، 2002.
 - محمد مشبال، "خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقارنة بلاغية حجاجية"، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2015.
 - مسعود بودوخة، "البعد الحجاجي في البلاغة العربية، ضمن كتاب: الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية"، إشراف وتحرير حسن خميس الملق، سلسلة دراسات لسانية (2)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2015.
 - ملاس مختار، "البلاغة والتداولية: قراءة في تداولية الخطاب البلاغي"، مجلة الخطاب، مجلة الخطاب، عدد 08، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري - تيزي وزو، الجزائر، خاص بأعمال ملتقى البلاغة وتحليل الخطاب، أبريل 2011.
 - هنريش بليت، "البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص"، ترجمة وتعليق، محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999.
 - يمينه تاتي، "التواصل الحجاجي في الرسائل الصغرى لابن عباد الرندي"، مجلة الخطاب، عدد 10، جامعة تيزي وزو، الجزائر، يناير 2012.
- المراجع بغير العربية

© Anthony Weston, *Las claves de la Argumentación*, traducción, Jorge F.Malem Sena, Editorial, Ariel, Barcelona, 2006.

© Fatéma Mernissi, *L'Amour dans les pays musulmans " Atravers le miroir des textes anciens "*, Edition Le Fennec, casablanca, (Maroc), Novembre 2007,

© Gérard Genette, *Figures II*, collection poétique, Editions seuil, Paris, 1969.

© Gérard Genette, *Figures III*, collection poétique, Editions seuil, Paris, 1972

© Kibédi Varga , *discours, récit, image*, Pierre Mardaga Editeure, Liège, Bruxelles, 1989 .

© Michael Riffaterre, *La Production du texte*, collection poétique, Editions Seuil, Paris, 1979.